لغز الذاكرة المفقودة



محمود سالم

لغز الذاكرة المفقودة

تأليف
محمود سالم



لغز الذاكرة المفقودة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٤ ٢٥٥٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

صديق

أخذ «تختخ» ينظر إلى ساعته كلَّ دقيقة تقريبًا ... كان على موعد مع طبيب الأسنان الدكتور «مكين» ... لقد ظلَّ ثلاثةَ أيام يتألم من ضرسه ويتهرب من الذَّهاب إلى الطبيب، مثله مثل أكثر الناس، لم يكن المغامِر السمين يخشى شيئًا من حقنة المخدِّر في اللثة ... ثم المثقاب الكهربائي وهو يدور داخل ضرسه ... ثم المضمضة بالماء البارد ... ولكنه في النهاية قرَّر الاستسلام والذهاب إلى الدكتور ... فكما يقول المثل البلدي «وجع ساعة ولا كل ساعة» ... والإنسان عادة ما يدفع ثمن إهماله ... والقواعد الصحيحة تؤكِّد أنَّ زيارة الطبيب كل ستة أشهر للكشف العام تضمن للإنسان صحة جيدة طيلة حياته.

هكذا كان حال «تختخ» ... وفي الساعة السادسة غادر المنزل إلى عيادة الدكتور «مكين» ... وهو رجل يعمل بمواعيدَ محددة ... كلُّ مريض في موعده بالضبط ... فليس هناك زحمة ... ولا صخب ... وكان موعده في السادسة والنصف، واستقبله عم «منير» والممرضة «هدى»، وطلبا منه الجلوس لحظات استعدادًا لمقابلة الدكتور «مكين». وفي السادسة والنصف كان يخطو داخل غرفة الطبيب النظيفة المرتبة، واستقبله الدكتور «مكين» بابتسامة واسعة، وأجلسه على الكرسيِّ الضخم ... ووجَّهَ الأشعة إلى فمه ... وأخذ يفحص أسنانه واحدة واحدة ... يدقُّ عليها ويسأله عن الألم ... حتى وصل إلى الضرس الذي يؤلمه، وأخذ يتفحَّصه طويلًا، ثم قال: تسوُّسٌ في قلب الضرس ... ستحتاج إلى حشو.

قال «تختخ»: إنني في الحقيقة ...

ردَّ «مكين»: خائف جدًّا طبعًا!

تختخ: الحقيقة ...

مكين: لا تخشَ شيئًا ... لقد تطوَّر الطبُّ كثيرًا ... خصوصًا التخدير ... ولن تشعر إلَّا بألم بسيط جدًّا للحظة واحدة ... ثم نبدأ العمل.

وبيدٍ ماهرةٍ حانيةٍ أدخلَ الحقنة إلى فم «تختخ»، وأحسَّ بوخزة صغيرة جدًّا ... ثم قال الدكتور بعد لحظات: والآن سيكون كلُّ شيء على ما يرام.

عندما تم التخدير، أحسَّ «تختخ» بالراحة تغمره لأول مرة منذ أيام ... وأخذ الدكتور يعمل بسرعة وسهولة وهو يقول: إن المثقاب الكهربائيَّ الآن يعمل بسرعة ٢٠٠ ألف لفة في الثانية ... ولن تشعر به على الإطلاق.

وفعلًا لم تمضِ إلَّا دقائق قليلة حتى تم التنظيف والحشو ... وأحسَّ «تختخ» أنه انتقل من عالم الألم المخيف إلى راحة لم يشعر بها منذ وقت طويل ... وأخذ «مكين» يسأله عن أخبار المغامرات والألغاز، فأشار «تختخ» إلى أنهم الآن بلا ألغاز ولا مغامرات.

ولكن عند عودة «تختخ» إلى البيت كانت في انتظاره رسالة هامة، قالت له الشغَّالة «حسنية»: إن المفتش «سامي» اتصل به من المطار ... فهو على وشك السفر إلى الخارج في مهمة ... وقد أوصى على شخص يُدعى الأستاذ «مراد» عنده مشكلة صغيرة، يرجو المفتش أن يساهموا في حلها.

ولم تكد الشغالة تنتهي من حديثها حتى دقَّ جرس التليفون، وكان المتحدِّث هو الأستاذ «مراد» الذي رحَّب به «تختخ» ترحيبًا حارًّا قائلًا: إن صديق المفتش «سامي» هو صديقنا ... وأي خدمة تطلبها ستكون موضع رعايتنا الكاملة.

ردَّ «مراد» شاكرًا، ثم قال: ومتى أستطيع أن أراكم؟

تختخ: غدًا في الصباح ... في منزل «عاطف» ... صديقنا ... إن عنوانه ...

قال «مراد»: إنني أعرف المكان، فأنا من سكان المعادي.

تختخ: عظيم ... فليكن موعدنا في التاسعة صباحًا.

وعندما تحدَّث «تختخ» تليفونيًّا مع المغامرين ... استُقبلت أخبارُه بحفاوة بالغة، فقد كان الجميع يتوقَّعون أن يكون هناك لغزٌ في حاجة إلى حل.

وفي التاسعة إلَّا الربع صباحًا كان المغامرون الخمسة يجلسون في الكشكِ الصيفيِّ في انتظار حضور الأستاذ «مراد» ... وفي التاسعة تمامًا أخذ «زنجر» يُهَمْهِمُ ويزوم، وعرفوا أن الزائر قد دخل الحديقة، فأسرع «تختخ» يستقبله ... كان الأستاذ «مراد» رجلًا طويل القامة ... أصلعَ، ويلبس عوينات طبية، وهو يسير على مهلٍ ويبتسم في بساطة.

استقبله «تختخ» بحفاوة ... وقدَّمه إلى المغامرين ... وقال الأستاذ «مراد»: إنني لن أطيلَ عليكم ... فأنا أعمل سكرتيرًا لدى شخصية هامة، من الأفضل عدم ذكر اسمها الآن ... وقد وافق المفتش «سامي» على ذلك ... وسنسمِّيه مؤقتًا الدكتور «س».

وسكت الأستاذ «مراد» لحظات ... وقد أحسَّ أنه جذب انتباه المغامرين بهذا الأسلوب الغامض ... وفعلًا كان المغامرون على استعداد للاستماع إليه بشغف.

ومضى يقول: إن الدكتور «س» بحكم منصبه المهم في الدولة توجد عنده أوراق ومستندات سريَّة لا يصح أن يطَّلِعَ عليها أحد ... وحدث منذ أسبوعين أن اختفت مجموعة من هذه الأوراق السريَّة، وفي نفس الوقت اختفت شغَّالة صغيرة.

وزاد اهتمام المغامرين بالحديث ... ومضى «مراد» يقول: وبالطبع ربطنا بين اختفاء الشغَّالة الصغيرة وبين اختفاء الأوراق ... ولكن المشكلة أن هذه الشغالة كانت مثالًا للأمانة والأخلاق ... وقد كان الدكتور «س» يعاملها كأنها ابنته، ويثق بها.

تختخ: ألم يكن في المنزل سواها؟

مراد: مدام «زاهية» مدبرة المنزل، و«حامد» الطباخ، وأنا.

تختخ: لماذا لم يُشتبَه في واحد من الباقين ... أنت أو «زاهية» أو «حامد»؟

لم يغضب «مراد» لهذه المواجهة، وقال بهدوء: أولًا معك كل الحق في ذلك ... ولكننا جميعًا ما زلنا في المنزل ... ولو سرق أحدنا الأوراق لما بقِيَ لحظة واحدة ... ثانيًا لقد قام رجال الشرطة بالبحث الدقيق حول ملابسات الحادث، وانتهى تحقيقهم، وأصابع الاتهام كلها تشير إلى «راوية» الشغَّالة الصغيرة ... فقد كانت في الغرفة عندما كان الدكتور يضع هذه الأوراق في درج مكتبه ... وقد نسِيَ المفتاح في الدرج ... وسمِعته وهو يتحدث تليفونيًّا مع إحدى الشخصيات الهامَّة عن هذه الأوراق، وأنها تساوي الكثير.

تختخ: وهل كانت لهذه الفتاة عَلاقات خارجية ... شخص ما أثَّر عليها؛ أب، أو أخ، أو قريب، يمكن أن يكون الدافع وراء سرقة هذه الأوراق؟ إن فتاة مثل هذه لا يمكن أن تُقْدِم على سرقة أوراق من هذا النوع، إنها على الأكثر تسرق بضعة جنيهات أو قطعة من الذهب أو المجوهرات، أمَّا أن تسرق مستندات على هذا الجانب من الأهمية فهذا غير معقول، لأنها لا تعرف قيمتها ... وإذا عرفت قيمتها فلن تعرف كيف تستفيد منها.

بدا على وجه «مراد» قدرٌ من الدهشة ... فهو لم يصدِّق أن المغامرين الخمسة يملكون هذه الدرجة من دقة التحليل والاستنتاج ... وقال: إنني على كل حال أضع جميع الإمكانيات والمعلومات أمامكم ... وأنتم أصحاب الحق في البحث والتحرِّي عن كلِّ شخص في المنزل ما دمتم موضعَ ثقة المفتش «سامي».

قال «تختخ»: إننا نودُّ زيارة المنزل حيث تمت السرقة.

مراد: في أيِّ وقتٍ تشاءون؟

تختخ: فليكن هذا المساء.

مراد: سأكون في انتظاركم.

ثم أعطاهم العنوان، وبعد حوار قصير خرج ... وجلس المغامرون الخمسة صامتين لحظات، ثم قالت «لوزة» فجأة: إنني متأكدة أن «راوية» الصغيرة ليست لصَّةً على الإطلاق. إن سرقة الأوراق تمت بواسطة واحد من الثلاثة الآخرين ... «حامد» الطباخ أو «زاهية» مدبِّرة البيت، أو «مراد» السكرتير.

عاطف: لا تقفزي على النتائج هكذا يا «لوزة» ... حرام أن نتهم أشخاصًا لم نرهم، ولا نعرف عنهم شيئًا.

محب: ربما كانت «راوية» مجرد أداة في يد عصابة ... وقد تكون هذه العصابة خارج المنزل ... وربما داخله.

تختخ: هذا ما أميل إليه ... ربما استطاعوا إغراء أو تهديد هذه الفتاة الصغيرة؛ حتى تسرق لهم المستندات ... وعندما سرقتها أبعدوها عن المنزل باعتبارها الشاهدة الوحيدة التي تعرف الحقيقة.

نوسة: هناك شيء آخر يمكن إضافته ... لماذا لا تكون هذه الفتاة قد وقعت ضحيَّة حادث ما أبعدها عن المنزل ... سواء كان هذا الحادث بالمصادفة أو بتدبير شخص أو أشخاص من خارج أو داخل المنزل؟

تختخ: أي نوع من الحوادث تقصدين يا «نوسة»؟

نوسة: خطف ... أو حتى ... قتل!

بدت على وجوه المغامرين مشاعر مختلطة من الدهشة والاستنكار ... فكلمة القتل لم ترد في قاموس مغامراتهم مطلقًا ... إنهم ضد العنف ... وذروة العنف هو القتل ... خاصة إذا كانت الضحية فتاة صغيرة من مثل سنهم. ولكن برغم قوة هذا الاستنتاج فقد كان ممكنًا، فالعصابات التي تتعامل مع هذا الفرع من المستندات السريَّة هي عصابات رهيبة لا تتورع عن عمل أي شيء.

قليل جدًّا من المعلومات

في المساء اتجه المغامرون الخمسة إلى المنزل رقم ١٩ حيث جرت وقائع سرقة المستندات … وقابلهم الأستاذ «مراد» بتَرحابٍ شديدٍ … وقادهم إلى غرفة المكتب حيث كانت المستندات موجودة، واعتذر لهم عن غياب الدكتور في اجتماع هام.

كانت الغرفة مُؤثَّثة بشكل ملفت، من ناحية الفخامة والترتيب، والرفوف الخاصة بالكتب … وهناك ثلاثة أجهزة تليفون … والستائر تُغطي الجدران بلون أزرق داكن. والهدوء يسود كلَّ شيء.

وأخذ الأستاذ «مراد» يشرح لهم أسلوب العمل في المنزل … وقال إن الدكتور نادرًا ما يقابل أحدًا … فهو إمَّا مشغول في اجتماعات … أو يقوم بعمله داخل مكتبه، وأضاف: إنني الإنسان الوحيد الذي يقابله تقريبًا.

وابتسم قائلًا: إنه ككل العلماء لا تعنيه سوى بحوثه.

قالت «نوسة»: أين كانت تقيم «راوية»؟

مراد: كان لها غرفة خاصة صغيرة.

نوسة: هل يمكن زيارتها؟

مراد: بالطبع.

وخرج «مراد» من الغرفة … وتبعته «نوسة» و«لوزة» في حين بقيَ «تختخ» و«محب» و«عاطف» في غرفة المكتبة.

بعد المرور في عدة دهاليز ساكنة وصلوا إلى باب غرفة تحت السُّلَّم الداخلي للفيلَّا … ودفع «مراد» الباب ودعاهما للدخول … كانت الغرفة صغيرةً حقًّا … ولكنها نظيفة وبها بعض الأثاث البسيط … ولاحظت «لوزة» أن ثمة شيئًا ما في الغرفة يلفت النظر … هذا الشيء أشعرها أن الفتاة الصغيرة تركت الغرفة على عجل … فعندما فتحت أدراج الدولاب

لاحظت أن هناك بعض الملابس الناقصة ... إنها فتاة في مثل سنها تقريبًا ... وهناك أشياء ناقصة تعرفها كل فتاة.

وسألت «لوزة»: متى خرجت «راوية»؟ أو على الأقل متى اكتشفتم أنها تركت البيت؟

مراد: ليلًا بالتأكيد.

لوزة: في أي موعد بالضبط؟

مراد: بعد منتصف الليل.

لوزة: وكيف عرفت؟

مراد: لأنني أمرُّ ليلًا على البيت كله لأطمئن على إغلاق الأبواب ... وفي الساعة الحادية عشرة سمعتها وهي تستمع إلى راديو صغير كانت تملكه.

لوزة: وأين هذا الراديو؟

تلفَّت «مراد» حوله وأخذ يبحث هنا وهناك، ثم قال: يبدو أنها أخذته معها.

نوسة: ولكن ... أليس لهذه الفتاة «راوية» أقارب أو أصدقاء من أي نوع ... حتى من الجيران؟

مراد: للأسف نحن لا نعرف من أين أتى بها الدكتور ... فهو لم يكن يتحدث عنها كثيرًا برغم أنها كانت موضع ثقته الكاملة، كما أنها لم تكن تختلط بأحد من الجيران.

نوسة: شيء مدهش!

مراد: فعلًا.

نوسة: وماذا قال رجال الشرطة؟

مراد: إننا لم نُبلغ الشرطة بالطريقة التقليدية، لقد اتصل الدكتور بالمفتش «سامي» الذي حضر ومعه رجاله وقاموا بفحصٍ كل شيءٍ، ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة، كأنَّ الفتاة قد انشقَّت الأرض وابتلعتها.

ثم صمت لحظات وقال: وهناك احتمال كما قال رجال الشرطة ... احتمال بسيط ولكنه ممكن، وهو أن تكون الفتاة قد أصيبت بلوثة مفاجئة ... فالإنسان لا ينتقل من الأمانة إلى السرقة في لحظة واحدة.

لوزة: ماذا تعني بلوثة بالضبط؟

مراد: إصابة الشخص باختلال عقلي مفاجئ.

ثم سكت لحظات وقال: هل تريدان شيئًا آخر من الغرفة؟

نوسة: لا، وشكرًا لك.

وخرجوا ثم عادوا إلى المكتب حيث كان «تختخ» و«محب» و«عاطف» قد فتَّشوا كل شيء بسرعة ... وكان «تختخ» يبدو صامتًا أكثر من اللازم، حتى إنه لم ينطق بكلمة واحدة.

قال «مراد»: بالمناسبة ليس أمامَكم سوى سبعةِ أيام فقط للبحث عن الفتاة.

بدت الدهشة على وجوه المغامرين ... وقال «مراد» مبتسمًا: لأننا بعد ذلك سنغادر مصر كلها إلى سويسرا، فقد نُقل الدكتور إلى هناك لإكمال عمله.

خرج الأصدقاء بعد أن شربوا عصير البرتقال المثلج ... وعندما أصبحوا في الشارع، قال «محب»: أعتقد أننا في حاجة إلى اجتماع عاجل لبحث هذا الموضوع.

عاطف: ما الفائدة؟ ... إذا كان رجال الشرطة أنفسهم لم يتوصلوا إلى حلٍّ للغزِ اختفاء الفتاة ... فماذا سنفعل نحن؟

ثارت «لوزة» عندما سمعت هذا التعليق، وقالت: إنَّ لنا أساليبنا الخاصة.

عاطف: أؤكد لكِ أننا لن نصل إلى شيء ... لقد اختفت آثار الفتاة منذ فترة طويلة ... ومن المؤكد أن الشرطة بحثت كل الاحتمالات، ولم يتركوا شيئًا يمكن عمله، فماذا سنفعل نحن؟

كان «تختخ» صامتًا ... فالتفت إليه «محب» قائلًا: إننا لم نسمع رأيك يا «تختخ»، ومع ذلك ظلَّ المغامر السمين ساكتًا لحظات، ثم قال: إنها مشكلة طبعًا.

عاطف: ياه ... متى اكتشفت هذه الحقيقة؟ إنها طبعًا مشكلة يا «تختخ».

تختخ: إن فتاةً أمينةً وموضع ثقة شخصية هامة مثل الدكتور لا يمكن أن تفكِّر في خيانته ... ثمة شيء غامض في الموضوع.

محب: هل تقصد أنَّ خَلْفَ الفتاةِ عصابة؟

تختخ: لا أعرف ... وبالمناسبة ... لقد نسينا أن نطلب صورة لها ... كيف يمكن البحث عن فتاة بمجرد معرفة اسمها؟

كانوا يمشون بجوار درَّاجاتهم وقد قطعوا مسافة قصيرة، فقال «محب»: سأعود وأطلب من «مراد» إعطاءنا صورة للفتاة.

تختخ: إذا كان عندهم.

محب: هل تقصد أنهم لا يحتفظون بصورة لها؟

تختخ: في الأغلب لن تجد صورة ... وعندما كنا نفتش المكان كان ضمن تفكيري أن أجد صورة ... ولكني لم أجد شيئًا.

محب: لا بأس من سؤالهم.

ثم قفز إلى دراجته ... بعد أن اتفقوا على أن يكون اتجاههم إلى حديقة منزل «عاطف» ليلحق بهم «محب» هناك، وساروا صامتين ... كان كلٌّ منهم يفكر في نقطة البداية ... من أين يبدءون؟ إن المفتش «سامي» مسافر خارج البلاد، ولو كان موجودًا لسألوه أن يعطيَهم المعلومات التي تَوَصَّل إليها رجال الشرطة ... لعلهم يجدون فيها نقطة بداية ... ولكن المفتش مسافر، وسوف يتغيَّب طويلًا ... فماذا في إمكانهم أن يفعلوا؟

وصلوا إلى حديقة منزل «عاطف»، وكانت الساعة لا تزال الثامنة مساءً، والجو منعشًا.

فقالت «لوزة» مقترحة: ما رأيكم في عشاء خفيف من ساندوتشات الفول والطعمية؟

وافقوا جميعًا بحماس ... خاصة المغامر السمين الذي لا يشبع ... وأسرعت «لوزة» إلى داخل الفيلَّا ... كانت شغَّالتهم تجيد عمل الطعمية ... وكانت قد أعدَّت هذا المساء كميةً كبيرةً منها.

عادت «لوزة» إلى المغامرين ... ووصل «محب» في نفس الوقت ... وكان يبدو عليه الانتصار ... لقد وجد صورة للفتاة المختفية ... وأسرع المغامرون إليه، وكل واحد منهم يتمنى أن يرى الصورة قبل الآخر ... وكانت صورة صغيرة مما يصوره المصوِّرون المتجوِّلون ... فتاة صغيرة ذات شعر مَجْدول ... تبدو عليها علامات البساطة والذكاء ... وتلبس فستانًا به نقوش بسيطة ... وقد وقفت بجوار سلة زهور صناعية مما يستخدمه المصوِّرون المتجوِّلون لتجميل الصور ... وخلفها يبدو جدار منزل قديم، وسور متوسط الارتفاع به مثلثات من الحجر ... وبجواره أشجار صغيرة ... وجانب من سيارة قديمة قد فرغت إطاراتها من الهواء.

كان «تختخ» يتأمل خلفية الصورة أكثر مما يتأمل الصورة نفسها ... إن المنزل القديم والسور والأشجار قد أوحت له بفكرة ما ... أما صورة الفتاة ذاتها فكيف يمكن البحث عنها بين ملايين البشر ... إنها ذات ملامح عادية ... يمكن أن تكون لأي فتاة في سنها ... ولكن الملحوظة الذكيَّة جاءت من «نوسة» التي أخذت تتأمل الصورة طويلًا تحت المصباح، ثم قالت: إن هذه الفتاة حَوْلاء.

نظر إليها بقية المغامرين فمضت تقول: إنَّ في عينيها حَوَلًا خفيفًا ... ولكن المصور كان بارعًا فاستطاع إخفاءه ببعض الرتوش.

لوزة: كيف عرفتِ ذلك؟

نوسة: إذا تأمَّلتِ الصورة ... فستلاحظين أن قلم المصور قد ترك آثارًا بسيطة يمكن ملاحظتها داخل العين.

كان «تختخ»: صامتًا ثم قال فجأة: إن عندنا معلومات لا بأس بها حول الفتاة.

عاطف: إنها حولاء.

تختخ: ليس هذا فقط ... ولكن هي فتاة من وسط بسيط ... فقيرة ... كانت تعيش في منزل قرب مسجد.

محب: مسجد؟

تختخ: طبعًا ... إن السور ومثلثات الحجر الواضحة عليه، والأشجار تعني أنه سور جامع ... خاصة النقوش التي تظهر في الصورة ... كذلك السيارة القديمة ... إنها سيارة مُهمَلة لم تتحرَّك من مكانها وهذا المكان يمكن العثور عليه.

وراء أمل بسيط

انتشر المغامرون الخمسة في صباح اليوم التالي في المعادي ... لم تكن مهمة البحث عن مسجد بالمهمة الصعبة ... فعدد المساجد محدود نسبيًّا ... ومن السهل السؤال عنها ... وكان العثور على المسجد المطلوب من نصيب «محب» الذي سرعان ما عرف أنه المسجد الذي يبحثون عنه من شكل السور ... والسيارة القديمة التي كانت لا تزال واقفة مكانها ... وكانت الساحة الخارجيَّة للمسجد بها سوق للخضار، وعدد من الدكاكين، ويقع كل هذا في الطرف الغربي من المعادي، بعيدًا قرب الصحراء.

لقد كان العثور على المسجد سهلًا ... ولكن بقِيَت المهمة الصعبة، وهي السؤال عن الفتاة ... وتوقَّف «محب» قليلًا بجوار سور المسجد يفكِّر ... كان الحل الوحيد هو العثور على المصوِّر الذي صوَّر الفتاة ... وأخذ يتجوَّل بدراجته هنا وهناك ... إنه مصوِّر متجوِّل، يمكن أن يوجد في أي مكان، فأين هو الآن؟

وأخذ «محب» يسأل الدكاكين المنتشرة حول المكان ... ولكنَّ أحدًا منهم لم يتذكر هذا المصور مطلقًا ... وفجأة حدث شيء مثير ... كانت هناك فتاة صغيرة تشتري قطعة من الشيكولاتة من أحد المحالِّ، وسمعت «محب» وهو يسأل عن المصوِّر ... وردَّت الفتاة: إنني أعرفه ... لقد التقط لي صورة منذ شهر تقريبًا.

محب: وهل تعرفين مكانه؟

الفتاة: نعم ... لقد أردنا طبع صورة أخرى، فسألت عنه حتى عرفت عنوانه.

محب: وأين العنوان؟

الفتاة: إنه في حارة صغيرة مجاورة للمسجد من الجانب الآخر.

محب: هل تتفضلين بشرحه لي؟

الفتاة: إنني في طريقي إلى مكان قريب منه، وسوف أسير معَك.

ابتهج «محب» كثيرًا بما حدث ... ومشى بجوار الفتاة حتى تجاوزا المسجد، ثم دارا دورةً واسعةً، وغاصا في شوارع ضيِّقة حتى وصلوا إلى حارة، أشارت الفتاة إلى منزل فيها وقالت: هذا هو مسكنه.

شكر «محب» الفتاة بحرارة، ثم اتجه إلى منزل المصور ... كان منزلًا مُكوَّنًا من طابَقٍ واحد، وقفت على بابه سيدة تشتري «الخضار» من بائع متجول ... وحيَّاها «محب» ثم سألها عن المصوِّر فقالت: إنه يلفُّ الآن بحثًا عن رزقه ... ولا يعود قبل غروب الشمس ... هل تريد شيئًا؟

محب: هناك صورة نريد إعادة طَبْعها.

السيدة: تعالَ في السابعة مساءً، ستضمن وجوده.

وشكرها «محب» وأسرع عائدًا ... كان آخر المغامرين الذين وصلوا قبله ... وعندما رأوا وجهه أدركوا أنه قد نجح ... لقد عثر على منزل المصور ... وإنْ لم يعثر على الفتاة ...

وقال «عاطف» ضاحكًا: وما الفائدة من العثور على المصور؟ ... إن المصوِّرين لا يحتفظون بعناوين زبائنهم ... خاصة مصوِّرًا متجوِّلًا مثل هذا ... إننا الآن نشبه المثل العامي الذي يقول: «سرقوا الصندوق يا محمد ... لكن مفتاحه معايا!»

ردَّت «لوزة» بضيق: إنك تسخر فقط ... ولكنك لا تُقدِّم أيَّ حل.

وقبل أن تتطوَّر المناقشة بين الشقيقين، قال «تختخ»: على كل حال، هذه خطوة إلى الأمام ... ربما تعرَّف المصور على صاحبة الصورة، وبهذا نكون قد قطعنا مسافة إلى العثور عليها ... فإذا لم يعرفها فإننا لم نخسر شيئًا.

نوسة: وهل نتصور أن الشرطة لم تسِرْ في نفس الخط؟

تختخ: إنني لا أعرف طبعًا ... ولكن من المفروض أن نعتمد على أنفسنا، وخاصةً أن المفتش «سامي» مسافر ... والوقت أمامنا ضيق للعثور على الفتاة.

وكأنما الحديث عن الشرطة قد استحضر رجال الشرطة ... فلم يكد «تختخ» ينتهي من جملته حتى ظهر الشاويش «فرقع» على باب الحديقة ... كان غارقًا في العرق، ويبدو أنه أقبل من مكان بعيد ... وكعادة الأصدقاء فإنهم رحَّبوا به ... على حذر طبعًا ... فإن المهمة التي لديهم كانت تتسم بالسرية الكاملة ... ومن المؤكد أن الشاويش قد حضر إليهم في مهمة أخرى ... دخل الشاويش متردِّدًا ... فدعاه الأصدقاء إلى الجلوس ... فلم يتردَّد وألقى بنفسه على كرسي وهو يجفِّف عرقه ... وقالت «لوزة»: عصير ليمون يا حضرة الشاويش؟

ردَّ الشاويش: شاي.

ودهشت «لوزة» لطلب الشاويش ... شايًا في هذا الحر ... ولكنها ذهبت لإحضار الشاي، وقد قرَّرت أن تأتيَ بكوب من الماء البارد معه.

قال «الشاويش» على الفور مشيرًا إلى «محب»: لقد شاهدتك اليوم في سوق بجوار المسجد، هناك عند طرف المعادي.

فوجئ «محب»، فهو لم يرَ الشاويش مطلقًا في ذلك المكان، وردَّ في هدوءٍ: وماذا تتصوَّر يا حضرة الشاويش؟

الشاويش: لقد رأيتك وأنت تتجه إلى بيت المصوِّر «مرعي»، وهو مصوِّر سيئ السمعة!

نظر المغامرون بعضهم إلى بعض في دهشة ... هل وراء زيارة الشاويش شيء؟

وهل هناك عَلاقة بين الفتاة المخطوفة وهذا المصور سيِّئ السمعة؟

وهل عند الشاويش معلومات عن الموضوع؟

كانت هذه الأسئلة تتردَّد في أذهان المغامرين في نفس الوقت ... ولم يكن هناك طريقة إلَّا استدراج الشاويش للإدلاء بكل المعلومات التي عنده ... فقد يحصلون على شيءٍ يُضيء لهم الطريق.

سأل «تختخ»: ماذا تقصد بسيئ السمعة يا شاويش؟ هل هو لص؟

الشاويش: لا أقصد هذا بالضبط ... ولكن بعض الزبائن اشتكوا من أنه يصوِّرهم بدون استئذانهم ... ثم يطلب منهم نقودًا مقابل صور لم يطلبوها ... وأحيانًا يأخذ النقود بدون أن يُعد الصور.

تختخ: وهل عندك محاضر ضده؟

الشاويش: لقد أُنهيت جميع الشكاوى ضده صُلْحًا مع الزبائن، ولكنني أنصحكم بعدم التعامل معه.

وجاء الشاي ... وازدرد الشاويش كوب الماء البارد بسرعة، ثم أخذ يرشف من الشاي باستمتاع ... كان يشعر أنه قدَّم خدمةً للمغامرين ... فقد حذَّرهم من المصوِّر ... ولكن المغامرين أحسوا أنهم لم يحصلوا على أية معلومات ذات قيمة حول اختفاء «راوية»، ولم يكن في إمكانهم السؤال عنها ... فقد قال لهم الأستاذ «مراد»: إن موضوع اختفاء الفتاة موضوع سري ... ولو كان المفتش يريد من الشاويش الاشتراك في البحث لأمره بذلك.

ساد الصمت ... وعندما انتهى الشاويش من شُرب الشاي قام واقفًا وهو يمسح شاربه وقال: إنني أعتقد أنكم مشتركون في مغامرة ما ... وأنَّ المصوِّر جزء من هذه المغامرة ...

ولكنكم لا تريدون إشراكي معكم ... وأنتم أحرار فيما تفعلون ... ولكني أحذِّركم من المصوِّر «مرعي» ... وشكرًا على الشاي.

كانت مفاجأة للمغامرين ... لقد عرف الشاويش الحكاية ... ولكن الحمد لله أنه لم يعرف نوع المغامرة التي يقومون بها.

انصرف الشاويش، واستمرَّ الصمت ... فلم يكن أحد من المغامرين عنده ما يقوله ...

وقال «تختخ»: لقد حان موعد الغداء ... سوف ألتقي بك يا «محب» عند منزلكم في الساعة السادسة لنذهب للمصوِّر معًا ... وسيبقى «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» هنا لحين عودتنا.

وانفضَّ الاجتماع ... وفي السادسة تمامًا كان «تختخ» يمرُّ على «محب» في منزله، واتجه الاثنان إلى أطراف المعادي ... ولم يكن عندهما من الأمل إلا أقله ... ولكن على كل حال، شيء أفضل من لا شيء.

وحوالي الساعة السابعة كانا أمام منزل المصوِّر المتجوِّل «مرعي»، ودقَّ «محب» الباب، وفتحته فتاة صغيرة فسألها: هل الأستاذ «مرعي» موجود؟

ردَّت «الفتاة»: نعم ... هل تريد صورة؟

محب: نعم.

غابت «الفتاة» لحظات، ثم عادت تقول: تفضل.

دخل المغامران إلى منزل صغير ... بسيط الأثاث ... وعلى باب إحدى الغرف كُتبت كلمة «الاستديو».

وأشارت الفتاة إلى الغرفة قائلة: هنا.

دخلوا إلى غرفة صغيرة مقسمة إلى قسمين ... في أحد القسمين آلة تصوير قديمة وكرسي ... والقسم الآخر كان مغلقًا ... وواضح أنه المعمل أو الغرفة السوداء التي يتم فيها التحميض والطبع.

حضر «مرعي» ... كان رجلًا تبدو عليه علامات الهُزال ... وقال على الفور: من الذي يريد ...؟

وقبل أن يكمل جملته قال «محب»: لقد جئنا بصورة لفتاة قمت بتصويرها منذ فترة، ونرجو أن تتذكرها.

بدت على «مرعي» علامات الضيق وقال: إنني لا أهتم بمعرفة زبائني ... وليس عندي وقت أضيِّعه معكما.

محب: إننا سندفع لك ثمنَ هذا الوقت.

بدت علامة الشراهة والطمع على وجه «مرعي» وقال: أين هي الصورة؟

أخرج «محب» صورة «راوية»، وناولها للمصوِّر الذي أخذ ينظر إليها بتمعُّنٍ شديدٍ، ثم قال: لنبحث عن «النجاتيف» ... الصورة السالبة ... أحيانًا أكتب الاسم على المظروف الذي أحتفظ فيه بـ «النجاتيف».

ومضى إلى طرف الحجرة حيث يوجد دولاب صغير ... فتح أحد أدراجه، وأخذ ينظر إلى المظاريف واحدًا وراء الآخر ... وقد وقف الصديقان يرقبانه، وكلهما لهفة على ما سيحدث.

مرَّت الدقائق بطيئة وهو يفتح المظاريف وينظر فيها مقارنًا الصورة بـ «النجاتيف»، وفجأة توقَّف لحظات وقال: وجدتها.

ونظر إليه «تختخ» و«محب» وقد بدت عليهما علامات الاهتمام.

مزيد من المعلومات

كانت لحظة مثيرة ... فقد بدأ الطريق إلى العثور على الفتاة ... ولكنَّ المغامرَين لم يستمتعا طويلًا بهذه النشوة ... فقد أخذ المصوِّر ينظر إليهما بارتياب لحظات ... ثم تردَّد لحظات أخرى وهو يسألهما: ماذا تريدان منها؟

محب: لا شيء ذو أهمية ... إننا فقط نريد أن نسألها بعض الأسئلة.

المصوِّر: عن ماذا؟

محب: إن ما سنسألها عنه لا يهمك كثيرًا ... فقط قُلْ لنا معلوماتك عنها.

المصور: إنني أتذكر ... منذ فترة طويلة ... كان يتحدث بتردُّد شديد، ثم صمت وسأله «تختخ»: تتذكر ماذا؟

المصور: كانوا يسكنون قريبًا منا ... ولكن الآن لا أعرف أين هم؟

تختخ: قُل لنا على العنوان، وسوف نسأل جيرانهم إذا كانوا يعرفون منزلهم الجديد.

المصور: من الصعب أن تعثر على المكان الآن ... إنه بعيد ... وخاصة في الظلام.

محب: لقد وعدتك بمكافأة إذا دللتنا على طريقها.

المصور: ليست مسألة نقود ... ولكني الآن مشغول ... تعاليا غدًا صباحًا.

محب: ولكن الوقت مهم جدًّا بالنسبة لنا.

المصور: لا أستطيع الخروج الليلة مهما كانت الأسباب ... عندي عمل كثير في المعمل، والزبائن لا بُدَّ من تسليمهم صورهم غدًا.

بدا واضحًا للمغامرَين أن المصور يُخفي شيئًا ... وأنه متردِّد في الإفضاء بما عنده من معلومات ... ولم يكن هناك بُدٌّ من مغادرة المكان، فقال «تختخ»: نراك غدًا إن شاء الله.

المصور: لا أدري بالضبط هل ستجدانني أوْ لا ... لو أتيتما مُبكرَيْن فربما وجدتماني ... لأنني بعد ذلك أتجوَّل للبحث عن رزقي.

غادر المغامران المكان وهما في غاية الضيق ... وبعد أن سارا قليلًا توقف «تختخ» قائلًا: اسمع يا «محب» ... إنني أتوقع أن يخرج هذا المصور بعد فترة، وأعتقد أنه سيذهب للحديث مع شخص ما.

محب: وماذا تقترح؟

تختخ: تعالَ ننتظر نصف ساعة في ركن مظلم من الحارة نراقب ونرى.

ووقف المغامران في ظل سور قديم يُطِلُّ على طرف الحارة ... ولم تمضِ سوى دقائق حتى تحقق ما قاله «تختخ»، فقد فُتح باب المصور، وانطلق معه شعاع من الضوء خفَّفَ من حِدَّة ظلام الحارة ... ثم ظهر المصور على الباب ... وتوقَّف قليلًا ينظر حوله وعندما اطمأن أنَّ أحدًا لا يراقبه انطلق سائرًا في اتجاه السور الذي كان يقف عنده «تختخ» و«محب».

حبس الصديقان أنفاسهما والمصور يمرُّ بجوارهما، لا يبعد سوى مترين أو أقل، ولكن الرجل في عجلته لم يلتفت يمينًا أو يسارًا ... وبعد أن غادرهما بمسافة خرجا من مكانهما وسارا خلفه ... كان يتجه إلى الجبل ... وأخذ الظلام يتزايد تدريجيًّا، ولم يبقَ أمامهما إلَّا أن يقتربا منه حتى لا يفقدا أثره ... ولكن عندما وصل إلى جبل المقطم، اعتمدا أكثر على صوت قدميه في الصمت المطبق على الجبل ... وبعد نصف ساعة من السير المتصل سمعا قدميه تتوقفان ... واقتربا بسرعة زَحْفًا على الأرض الرملية، ودُهِشا ... ففي بطن الجبل فُتح بابٌ من الصفيح، وانطلق نور ضعيف ... وشاهدا من مكانهما شخصًا يفتح الباب، ويظهر في النور كشبح ... وأسرع «محب» زاحفًا ليرى ويسمع ... وسمع حوارًا في كلمات قليلة، كان المصور يقول: هناك من يبحث عن الفتاة.

وأُغْلِقَ الباب ... وتلاشت الأصوات ... وعاد «محب» سريعًا إلى «تختخ» وأخبره بما سمع.

وقف الصديقان ينظران حولهما حتى يتمكَّنا من تحديد المكان ... ولكن وقفتهما لم تَطُل ... فقد سمعا صوت الباب يُفْتَحُ مرة أخرى ... وظهر المصور ومعه شخص آخر ... وسارا معًا ... ومرَّا بجوار «محب» و«تختخ»، وسمع المغامران ما يدور بين المصور والشخص الآخر.

قال الآخر: إن الفتاة قد فقدت الذاكرة ... لقد حاولنا أن نحصل منها على معلومات عن مكان إخفاء المسروقات، ولكنها لا تتذكر شيئًا على الإطلاق ... حتى اسمها لا تتذكره، ولا من أين أتت.

سارا معًا ... وتبعهما «تختخ» و«محب» ونقلت إليهما الريح بعض الكلمات ...

– الشرطة ...
– الطبيب ... ولكن ...
– هل المستشفى ...؟
– أفضِّل أن نساوم عليها ...
– فكرة طيبة ... إذا دفعوا لنا مبلغًا ...
– ولكن الشرطة ... نفس المصير ...

وأخذ المغامران يلتقطان بقايا الكلمات ... وكل منهما يُكَوِّن منها في رأسه تصورًا لما يفعله المصور وزميله ... وسرح المغامران، ونسيا أنهما في الجبل ... وأنَّ هذين الرجلين مشتركان في عملية اختطاف ... فهُما مجرمان بشكل أو بآخر ... وحدث فجأة أن توقَّف الرجل الآخر، وقال: إنني أسمع وقْعَ خطوات خلفنا.

وتنبَّه المغامران على هذه الجملة ... وبسرعة استلقيا على الأرض ... وسمعا صوت أقدام الرجلين وهي تتوقف عن السير. ثم سمعا الصوت يتجه إليهما ... وأخذا يتدحرجان على الأرض بسرعة حتى سقطا في حفرة ... وأحسَّ «محب» بألم صاعق في ساقه؛ لقد سقط عليها ... ولكنه كتم صرخة تنطلق من فمه ... واستلقيا صامتين على الأرض وهما يلصقان رأسيهما على الأرض للاستماع إلى وقْع الخطوات التي اقتربت تمامًا من الحفرة وتوقفت عندها.

كانت الحفرة مظلمة وعميقة ... ورفع «تختخ» رأسه في هدوء وأطلَّ إلى فوق، وشاهد الرجلين يقفان عند حافة الحفرة وقد عاودا الحديث، قال المصور بصوته المشروخ: لا أحد هناك.

ردَّ الرجل: ربما كنت واهمًا.

المصور: وماذا تنوي الآن؟

الرجل: الواقع أنني في حيرة ... فقد عثرنا على الفتاة ليلًا وهي تائهة في الجبل ... وكانت تحمل لفة تحرص عليها حرصًا شديدًا ... وعندما حاولنا أخذها منها سارعت بالفرار ... واختفت نصف ساعة ... وعندما عثرنا عليها مرة أخرى أخذت تجري أمامنا في الظلام وارتطمت بحجر وسقطت على الأرض وأصيبت في رأسها ... ونقلناها إلى مقرنا في الجبل، وحاولنا أن ندفعها للاعتراف بمكان اللفة ... ولكنها لم تتذكر شيئًا ... وقال لي «العريف» إن الفتاة ربما أُصيبت بارتجاج في المخ من أثر السقطة ...

المصور: إنني أعرف أسرة الفتاة، وهم يبحثون عنها ... ولا أدري هل أبلغوا الشرطة أو لا.

الرجل: إذن فهم لا يعرفون الحقيقة.

المصور: لا …

الرجل: هذا شيء مدهش.

المصور: ربما لا يريدون أن يبلغوا الشرطة.

الرجل: لماذا؟

المصور: هذا ما لا أعرفه.

الرجل: هيَّا بنا … إنني لا أرى أثرًا لأحد في هذا المكان.

وانطلق الرجلان … وانتظر «تختخ» و«محب» حتى قَدَّرا أنهما ابتعدا بمسافة كافية … ثم قاما … كانت ساق «محب» تؤلمه جدًّا … حتى إنه سقط على الأرض عند أول محاولة للوقوف … وأسرع «تختخ» يسنده حتى وقف، ثم سنده ليسير … كانت ساقه قد التَوتْ … فتحامل على نفسه وأخذ يسير.

قال «تختخ»: هل تؤلمك جدًّا يا «محب»؟

محب: نعم … ولكن الألم سوف يزول على كل حال.

تختخ: هل تستطيع ركوب دراجتك؟

محب: أظن أنني أستطيع.

وساد الصمت لحظات، وهما يقطعان الجبل المظلم حتى اقتربا مرة أخرى من المكان الذي دخله المصور … وأخذ «تختخ» ينظر حوله في تأمل، فقال «محب»: هل تحاول تحديد المكان؟

تختخ: بالضبط … سوف نحتاج للعودة مرة أخرى.

محب: هل تفكِّر في اقتحام المكان وأخْذ الفتاة؟

تختخ: لا أدري … إن حكاية عدم الاتصال بالشرطة تقيِّد حركتنا تمامًا، والآن والفتاة قد فقدت الذاكرة كما هو واضح من حديث الرجلين، فليس أمامنا إلَّا إبلاغ الأستاذ «مراد» بكل شيء … وهو حر في اتخاذ القرار الذي يناسبه.

محب: هذا هو الحل الوحيد الصحيح.

تختخ: وتنتهي المغامرة عند هذا الحد؟ إن «لوزة» ستكون حزينة جدًّا إذا لم تشترك في الحل بشكل أو بآخر.

وابتسم المغامران، واستأنفا سيرهما بعد أن استند «محب» على كتف «تختخ» حتى وصلا إلى الأماكن المأهولة، وأخذا يسيران في اتجاه الدراجتين، حيث كانتا لا تزالان في ظل

الجدار ... وحمدا الله أنَّ أحدًا لم يسرقهما ... وبمساعدة «تختخ» ركب «محب» دراجته، وما زالت ساقه تؤلمه، ثم انطلقا عائدَيْنِ إلى المعادي.

محب: هل ستبلغ الأستاذ «مراد» بهذه المعلومات الليلة؟

تختخ: طبعًا، إن أي تأخير قد يُضيِّع الخيط الوحيد الذي يدلُّنا على طريق الفتاة، وعليك أنت أن تذهب لترتاح حتى لا تتضاعف الإصابة، وسوف أبلغك بما سيحدث.

هل هناك دور للشاويش؟

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة ليلًا عندما اقترب «تختخ» من المنزل رقم ١٩، كان يرجو أن يجد الدكتور في المنزل ... كان يريد أن يفهم منه أهمية المستندات، ولماذا لم يتابع رجال المفتش «سامي» البحث عن الفتاة، بدلًا من جهود المغامرين التي انتهت بتحديد مكان الفتاة ... أو على الأقل معرفة مختطفيها ... وأخذ «تختخ» يفكر لحظات قبل أن يتجه إلى باب المنزل ... أيتصرف من تلقاء نفسه أم عليه أن يبلغ الدكتور بما حدث؟ إن أي تصرُّف خاطئ قد يؤدي إلى نتائج سيئة ... وهكذا اقترب من الباب ودقَّ الجرس، ومرت لحظات ثم سمع صوت الباب يُفتح فتحة صغيرة وتُطل منه سيدة، أدرك على الفور أنها «زاهية» مدبِّرة المنزل ... كانت تلبس ملابس فاخرة ... وتبدو قوية مسيطرة ... حتى دبَّ الخوف في نفس «تختخ» عندما التقت عيناهما ... ولكن ابتسامتها المرحِّبة خفَّفت من وقع النظرات ...

قال «تختخ»: مساء الخير ... أريد مقابلة الدكتور.

ردت «زاهية» بحزم: عليك أن تقابل الأستاذ «مراد» أولًا!

وقادته عبْر دهاليز المنزل الفاخر إلى غرفة الاستقبال، ثم تركته لحظات، وعادت تقول: إنَّ الأستاذ «مراد» قادم حالًا.

واختفت، وجلس «تختخ» وحده دقائق ثم ظهر الأستاذ «مراد» يسير بنشاط، وقد بدت على وجهه ابتسامة متسائلة، وبعد أن تبادلا التحية، قال «مراد»: إن ثيابك متسخة ... لعلك وقعت على الأرض.

قال «تختخ» معتذرًا: آسف جدًّا ... لقد نسيت تمامًا أنني فعلًا وقعت على الأرض ... ولكن الأخبار التي أحملها لا تحتمل التأجيل.

بدت علامات الاهتمام على وجه «مراد»، وعاد «تختخ» يقول: هل أستطيع مقابلة الدكتور؟

ردَّ «مراد»: سأذهب لأرى إذا كان قد نام أم لا ... لقد عاد بعد يوم عمل طويل في الأكاديمية ... وكان مُرْهَقًا جدًّا.

وغاب «مراد» لحظات ثم عاد يقول معتذرًا: آسف جدًّا ... لقد نام ولا نستطيع إيقاظه ... وإذا شئت أن تؤجل لقاءك معه إلى الصباح، فيمكننا أن نحدد موعدًا من الآن وتأتي لتقابله، إلَّا إذا كنت تحمل أخبارًا هامة حقًّا ... فمن الأفضل أن تُخبِرَني بها ... وقد نوقظ الدكتور لسماعها.

أخذ «تختخ» يروي الأحداث التي جرت منذ حصلوا على الصورة حتى وصلوا إلى مقر العصابة التي خطفت «راوية» ... وكان «مراد» يُصغي بانتباه شديد وقد بدا عليه الإعجاب بحديث «تختخ» ودِقَّته وتسلسله ... وعندما انتهى «تختخ» من روايته، قال «مراد»: إنكم أولاد مدهشون ... ولا عجب أن يوصيَنا المفتش باللجوء إليكم ... سوف أوقظ الدكتور فورًا ليستمع إليك.

وغاب «مراد» وظهرت «زاهية» تحمل كوبًا من الشاي، كان «تختخ» في أشد الحاجة إليه ...

وجاء «مراد» بعد لحظات يقول: إن الدكتور سيأتي حالًا للحديث إليك ... إنني أريدك أن تحدِّد لي المكان بالضبط.

وظهر رجل بجوار «مراد» قدَّمه الأخير قائلًا: هذا هو الأسطى «حامد» وهو يعرف المنطقة جيدًا.

أخذ «تختخ» يصف المكان كما رآه في الظلام ... وكانت أسئلة الأسطى «حامد» تُوضِّح أنه يعرف المكان جيدًا ... فقد استفسر عن كل شيء ... وبعد أن وصف «تختخ» المكان وصفًا جيدًا ... انتظر حضور الدكتور، ولكنه فجأة أحسَّ أنه مُتْعَب جدًّا ... إن النهار الطويل الذي قضاه في هذه المغامرة والمطاردة الأخيرة سبَّبا له تعبًا شديدًا ... وقال لـ «مراد»: إنني لن أستطيع الذهاب معكم.

مراد: ولكن هذا مهم جدًّا.

تختخ: بل إني لن أستطيع انتظار حضور الدكتور، وسأعود إلى المنزل فورًا، فإنني في أشد الحاجة إلى الراحة.

مراد: كما تريد ... وفي الصباح سوف أراك ... وأحكي لك كل شيء؟

تحامل «تختخ» على نفسه ... كان يشعر أن كل جزء في جسده في حاجة إلى راحة طويلة ... ولعله لم يلتفت إلى التعب إلا بعد أن اجتاز المغامرة الشاقة ... وفعلًا ما كاد يصل إلى منزله بالدراجة حتى صعد إلى غرفته ... واستلقى على فراشه وراح في سُباتٍ عميق ... وعندما استيقظ في صباح اليوم التالي تذكَّر أنه مرَّ بأحلام وكوابيس كثيرة ... وأنه ما زال مُتْعَبًا، ورجَّح أن يكون ذلك نتيجة توتُّر أعصابه ... فهذه أول مهمة يوكلها إليهم المفتش «سامي» دون أن يكون موجودًا ... وهي قضية تتعلَّق بمستندات هامة للوطن.

تلقَّى أول مكالمة في ذلك الصباح من المغامِرة الصغيرة «لوزة» التي انطلقت كالصاروخ تُلقي عليه عشرات الأسئلة ... ماذا فعل ليلًا مع «محب»؟ ... هل تم العثور على الفتاة؟ ماذا فعل الأستاذ «مراد»؟ ... وأسئلة أخرى كثيرة ... كان «تختخ» يتثاءب وهو يسمع ... كان لا يزال متعبًا ... وقال لها: من الأفضل أن نلتقيَ جميعًا ... سأحكي لكم كل شيء.

واتفقا على اللقاء في المكان المعتاد، طبعًا في حديقة منزل «عاطف» و«لوزة»، ودخل «تختخ» الحمَّام، وأخذ «دشًّا» باردًا ... وأحسَّ أنه أفضل مما كان ... ثم قفز إلى دراجته وأخذ «زنجر» معه ... ثم تذكَّر أنَّ «مراد» قال إنه سيتصل به في الصباح لإخطاره بما حدث ... ونظر إلى ساعته ... كانت لا تزال التاسعة والنصف ... فلينتظر قليلًا ... ونزل من الدراجة في الحديقة بعد أن نادى على الشغَّالة وطلب منها أن تردَّ على التليفون فورًا، وأن تُخطِره.

وأخذ يتمشَّى بين الأشجار الصغيرة والورود ... وذهنه يعمل ويستجمع المعلومات، وما مرَّ به من أحداث في هذه المغامرة ... وكان «زنجر» يمشي خلفه وهو مندهش لماذا لم يخرج صاحبه بعد أن ركبا الدراجة؟ ... كان يريد أن يتنزَّه قليلًا، وأن يقابل بقية الأصدقاء. ولكن «تختخ» كان مشغولًا تمامًا ... وتوقَّفَ أمام فَراشة كانت تطير بهدوء في الحديقة ... كان ثمة شيء يضايقه ... نعم ... هناك شيء في هذا الموضوع غير مريح، شيء ناقص ... شيء غامض، ولكن ما هو؟

ومضت نصف ساعة ... ثم نادته الشغالة؛ لأن التليفون يطلبه ... وأسرع يقفز سلالم الفيلَّا إلى الداخل ... ولكن لم تكن هي المكالمة التي انتظرها ... لقد كانت من «لوزة» تسأله لماذا تأخَّر؟

قرَّر «تختخ» أن يذهب إلى الأصدقاء ... وقفز إلى دراجته، وأسرع إليهم، وكانت خواطره تدور حول الشيء الغامض الذي في هذه القصة كلها ... وعندما وصل إليهم وجدهم جميعًا في انتظاره مشتاقين إلى سماع أخباره ... ولم يكن «محب» قد روى لهم شيئًا، وفضَّل أن ينتظر حتى يأتيَ «تختخ».

جلسوا جميعًا ينصتون و«تختخ» يروي المغامرة الليلية ... وكيف استطاع هو و«محب» في النهاية تحديد مكان الفتاة.

وقفزت «لوزة» قائلة: وكيف تركت الفرصة تفوتنا ... وكان يجب أن يصل المغامرون الخمسة أولًا — وقبل أي إنسان آخر — إلى الفتاة.

ردَّ «تختخ»: لقد فكرت في ذلك ... ولكنَّ هناك أسبابًا منعتني ... أولًا: خطورة أن نهاجم هذا المكان في الجبل ونحن لا نعرف مَن الذي فيه ... إنها عصابة، وقد تكون في منتهى الخطورة ... ثانيًا: أننا وعدنا الأستاذ «مراد» أن نُبلغه أولًا بأول بما يحدث ... وكان يجب أن نفيَ بوعدنا ... ثالثًا: أن الفتاة فقدت الذاكرة ... ومعنى هذا أننا لن نحصل منها على معلومات عن مكان المستندات المسروقة ... فهي تحتاج إلى عناية طبية حتى تستعيد ذاكرتها ... وهذا يستغرق وقتًا طويلًا ... فأين نضعها؟ وكيف نُنفق عليها؟

لم تستسلم «لوزة» أمام هذا المنطق ... وقالت: كان يجب أن نحصل على الفتاة أولًا، ثم نرى بعد ذلك ما يمكن ...

وقبل أن تتم جملتها ظهر الشاويش «علي» عند باب الحديقة ... بدا متهيبًا قليلًا ... ثم نظر إلى المغامرين، وقال: ماذا فعلتم حتى الآن مع المصور؟

محب: أي مصور؟

الشاويش: لا تنكر ... لقد ذهبت أنت و«توفيق» إلى المصور ليلة أمس.

وصُعق الصديقان ... كيف عرف الشاويش ذلك؟ وهل يعرف أكثر؟

قال «تختخ»: اسمع يا شاويش «علي» ... إنك مُمثِّل القانون هنا ... ونحن نحترمك جدًّا ... ولكن هل ارتكبنا خطأ يستحق أن تتابعه؟

أُعجب الشاويش بكلام «تختخ»، وقال: إن القاعدة في الأمن أن نمنع الجريمة قبل وقوعها، وليس أن ننتظر حتى تقع الجريمة ثم نبحث عن الفاعل.

تختخ: إن هذا كلام عظيم جدًّا يا شاويش «علي»، وهذا يثبت أنك رجل كُفْء تفهم بالضبط مهمةَ رجل الأمن ...

وتوقف «تختخ» لحظات ثم قال بين دهشة جميع المغامرين: إننا بمنتهى الصراحة نبحث عن شيءٍ هام ...

ونظر إليه الجميع في دهشة بما في ذلك الشاويش «علي» الذي أخذ يعبث بشاربه كلما أحسَّ أنه في موقف قوي ...

وعاد «تختخ» يقول: وسوف نطلب مساعدتك في الوقت المناسب ... فهل تسمح لنا أن نحدِّد هذا الوقت؟

الشاويش: وما هو الشيء الهام الذي تبحثون عنه؟

تختخ: وهذا أيضًا سوف نشرحه لك في الوقت المناسب.

ساد الصمت بعد هذه الجملة ... وبدا أنَّ ثمةَ شيئًا غير عادي يحدث، وأخذ الشاويش يعبث بشاربه مرة أخرى، ثم قال: إنني موافق على ما تقول ... المهم ألَّا تُعرِّضوا أنفسكم للخطر.

ثم قفز الشاويش إلى دراجته ومضى ... ونظر المغامرون إلى «تختخ» في دهشة ... والتفتَ إليهم «تختخ» قائلًا: إنني أحسُّ أن ثمة شيئًا يحتاج إلى الشاويش في هذا الموضوع.

معلومات الشاويش «فرقع»

جلس «تختخ» صامتًا لحظات، والمغامرون ينتظرون منه تفسيرًا لما حدث ... ولكن «تختخ» قال في بساطة: أعطوني بعض الوقت ... إنني في حيرة من أمري! وقام إلى التليفون واتصل بمنزلهم، وأكَّدُوا له أن أحدًا لم يتصل ... وقال لـ «محب»: هيَّا بنا، سنذهب لزيارة الأستاذ «مراد».

لوزة: ألن نأتيَ معكما؟

تختخ: من الأفضل أن تنتظروا قليلًا ... إذا لم نَعُد في خلال ساعة فعليكم الحضور إلينا هناك ... فقد يدعوننا إلى الغداء.

وقفز الوالدان إلى دراجتيهما ... وانطلقا في اتجاه منزل الدكتور ... وعندما وصلا إلى هناك توقَّفا قليلًا ينظران إلى البيت ... لم يكن هناك شيء غير عادي ... لا رجال شرطة ولا زحام.

تختخ: يبدو أنهم لم يبلغوا الشرطة بعد.

محب: إنني شغوف جدًّا بمعرفة ما حدث.

واقتربا من الباب وضغط «محب» الجرس ... وبعد أقل من نصف دقيقة ظهر «مراد» على الباب مبتسمًا ... وصافح الصديقين بحرارة، وقال: لقد عثرنا على الفتاة! إنني لا أعرف كيف أشكركم على ما فعلتم؟ ... إنكم مغامرون فعلًا من طراز ممتاز!

تختخ: وكيف حالها؟

مراد: إن الدكتور — ومعه طبيب نفسي — معها ... إنها مضطربة جدًّا لما حدث لها ... ولكن الطبيب النفسي يؤكد أنها ستستعيد ذاكرتها في فترة قصيرة، بعد أن تهدأ وتطمئن إلى مَنْ حولها.

محب: ألا نستطيع رؤيتها؟

مراد: ليس الآن ... ربما في المساء ... لو حضرتما ليلًا فسوف تكون في حالة أفضل ... إن ذلك يتوقف على رأي الطبيب النفسي، وهو يؤكد أنها في حاجة إلى الهدوء والراحة أكثر من أيٍّ شيءٍ آخر.

ودعاهما «مراد» للدخول، فقد كانوا جميعًا يقفون في مدخل الفيلَّا، ولكن «تختخ» قال: لا داعي للدخول الآن ... سوف نحضر في المساء، ولكن «محب» قال: كيف استطعتم الوصول إليها؟ ... هل استعنتم بالشرطة؟

مراد: هذه قصة طويلة سوف أحكيها لكم فيما بعد ... إننا الآن مهتمون فقط بالحصول على المستندات ... وبعد الحصول عليها سوف تعرفون كل شيء ... فأنتم الذين استطعتم الوصول إلى الفتاة ... ومن المؤكد أن المفتش «سامي» سوف يكون سعيدًا جدًّا بكم كما كان دائمًا.

ولم يعد هناك مجال للحديث، فانصرف المغامران ... وأسرعا إلى بقية المغامرين في حديقة منزل «عاطف»، وكان الثلاثة يشتركون في حديث صاخب، وعندما رأتهما «لوزة» صاحت: هل عثروا على الفتاة؟

محب: ما هو رأيك؟

لوزة: لقد عثروا عليها.

محب: كيف عرفتِ؟

لوزة: إن وجهيكما يعكسان هذا الحقيقة.

محب: إنكِ قارئة وجوه ممتازة.

نوسة: وهل حصلوا على المستندات؟

محب: ليس بعد ... إن الفتاة مُنهكة من أثر الصدمة، ومن أثر الحبس الطويل الذي تعرَّضت له ... وعندها الآن طبيب نفسي، ومن المنتظر أن نزورَها في المساء.

لوزة: إنني في أشد الرغبة إلى رؤيتها.

محب: سوف ترينها قريبًا.

استأذن «تختخ» منهم لشعوره بإرهاق، وانطلق عائدًا إلى منزله ... كان يركب دراجته وهو مستغرِقٌ في التفكير، حتى إنه لم يلاحظ أن الشاويش كان يتبعه على دراجته، وأخذ الشاويش يقترب تدريجيًّا من «تختخ» دون أن يلحظه، ثم صاح به فجأة: «توفيق»!

ودهش «تختخ» وتوقَّف مكانه بسرعة حتى كاد يسقط ... ثم التفت إلى الشاويش الذي قال له محذِّرًا: إنني ألاحظ أنكم تجتمعون كثيرًا هذه الأيام ... وأنَّ لكم تصرُّفاتٍ مريبة ... إنني أحذركم ... فقد تقعون في خطأ جسيم.

أخذ «تختخ» ينظر إلى الشاويش في شبه ذهول ... كان عقله يعمل بشدة ... وكان في أشد الحاجة إلى التركيز ... برغم أن ذلك خطر عليه وهو يقود دراجته ... فقد يقع له حادث وهو يفكِّر شاردًا.

أعادَهُ نداءُ الشاويش وحديثه إلى نفسه وقال: معك حق أيها الشاويش ... إنني في حاجة إلى استشارتك.

الشاويش: قلت لكم ...

تختخ: لا داعي لأن تقول لي ماذا قلت لنا وقلنا لك ... المهم الآن أنني أريد أن أستشيرك ... هل عندك مانع؟

الشاويش: لا مانع طبعًا.

تختخ: إذن فإنني أدعوك إلى كوب من الشاي في منزلنا.

واتجه الاثنان إلى منزل «تختخ»، وعندما دخلا الحديقة، أسرع «زنجر» إليهما وأخذ يداعب الشاويش كعادته ... ولكن الشاويش صاح به مُحذرًا ... وكذلك فعل «تختخ»، فقد طلب من كلبه الذكي أن يبتعدَ عن الشاويش.

بعد لحظات أُحْضِرَ كوب الشاي ... وجلس «تختخ» والشاويش يتحدثان ... قال «تختخ»: هل أستطيع أن أعرف إذا كانت هناك بلاغات عن غياب فتاة صغيرة في الفترة الأخيرة يا شاويش؟

وضع الشاويش ساقًا على ساق، وقال: إنك تسألني عن عملي، وهذا ممنوع بحكم القانون.

تختخ: إنَّ مثل هذا السؤال ليس سرًّا يا شاويش.

أخذ الشاويش يرشف الشاي في استمتاع، ثم قال: نعم، هناك بلاغ منذ فترة عن اختفاء فتاة ...

تختخ: تُدعى «راوية».

قفز الشاويش من مكانه كأنما لدغه ثعبان، وقال: كيف عرفت؟

تختخ: من الذي أبلغ عنها؟

الشاويش: قُل لي أولًا كيف عرفت؟

تختخ: ليس هذا مهمًّا الآن يا شاويش ... المهم من الذي أبلغ عنها؟

الشاويش: أسرتها!

تختخ: وأين يسكنون؟

الشاويش: في عزبة «عباس»، قرب نهاية المعادي من ناحية الشرق.

تختخ: وهل عثرت عليها؟

الشاويش: ما زلنا نبحث.

تختخ: كيف بدأت البحث؟

الشاويش: سألت كيف خرجت، وسألت عن أصدقائها، والأماكن التي تتردَّد عليها.

تختخ: ألم تكن تعمل؟

الشاويش: نعم ... كانت تبيع بعض الخَضْراوات التي تضعها في سلةٍ تحملها على رأسها.

سكت «تختخ» واستغرق في تفكير عميق ... لقد كان يحس أن هناك شيئًا غامضًا في موضوع اختفاء «راوية» ... فهل هذا هو الشيء الغامض؟ لقد قال له الأستاذ «مراد» إنها كانت شغَّالة تعمل عندهم ... والآن يعلم أنها كانت تبيع الخَضْراوات ... أين الحقيقة؟

سأله الشاويش: ماذا حدث؟ إنك تفكر في شيء.

ردَّ «تختخ» بشرود: نعم!

بدأ الشاويش يغضب، ويتغيَّر لون وجهه وقال: لقد حصلت على المعلومات التي تريدها. وها أنا ذا أراك صامتًا ... إنك تستدرجني إلى الإدلاء بمعلوماتي، إنني أريد أن أعرف معلوماتك عن هذا الموضوع.

كان حديث الشاويش معقولًا ومنطقيًّا ... ولكن «تختخ» لم يكن في موقف يسمح له بالحديث عن أهمية هذه الفتاة، وعن الأوراق التي سرقتها، وفي نفس الوقت أنه قد عثر عليها ... نعم كان يحس بالصراع داخل نفسه بين واجب الحديث إلى مُمثِّل القانون وإخباره عن العثور على الفتاة، وبين العهد الذي قطعه على نفسه ألا يُخبر أحدًا حتى يحضُرَ المفتش «سامي»، وهكذا اختار موقفًا وسطًا وقال: سوف أبلغك خلال فترة قصيرة بمعلوماتي عنها.

الشاويش: ولماذا لا تخبرني الآن؟

تختخ: إنني لا أستطيع الآن لاعتبارات كثيرة.

الشاويش: إن في إمكاننا القبض عليك بتهمة إخفاء معلومات عن أجهزة الأمن، إنها جريمة يمكن أن تُحاسب عليها.

تختخ: أؤكد لك يا حضرة الشاويش أنني حريص على عمل جهات الأمن مثل حرصك، ولكن الأسباب التي تمنعني من الحديث إليك قوية ... وباسم الصداقة التي تربط بين المغامرين وبينك ...

صاح الشاويش وهو يكاد ينفجر من الغضب: صداقة ... أي صداقة هذه؟! ... إنك سخرت مني، واستدرجتني!

وقام الشاويش واقفًا، فقال «تختخ»: اهدأ قليلًا يا حضرة الشاويش ... إنني قد أُهدي إليك قصة مثيرة عن اختفاء هذه الفتاة.

الشاويش: أي قصة مثيرة؟! ... هل ستؤلف ألغازًا وقصصًا أنت أيضًا؟

تختخ: إن التأليف مهنة صعبة ... خاصةً تأليفَ الألغاز التي تشبه المعادلة الرياضية أو الكيميائية ... إنني سأهدي إليك قصة واقعية ... قد تأخذ عنها مكافأة عظيمة.

خرج الشاويش وهو لا يزال غاضبًا، لم يكن يُصدِّق ما قاله «تختخ»، ولا يتصور أنَّ وراء اختفاء هذه الفتاة الصغيرة قصةً مثيرةً حقًّا ... أما «تختخ» فقد جلس وحيدًا يفكِّر ... لا بُدَّ أن المساء سيحمل أخبارًا هامة، فسوف يقابلون الفتاة، وسوف يعرفون كل شيءٍ عنها ... وإذا كانت قد استعادت الذاكرة فسوف يكونون بذلك قد قدَّموا خدمة كبيرة للعدالة وللوطن.

الخطة والخطة المضادة

عندما عقَدَ المغامرون الخمسة اجتماع المساء استعدادًا للزيارة ... بدا «تختخ» مهمومًا وعصبيًّا إلى حدٍّ ما ... ولم يستطع المغامرون فهم حكايته إلَّا بعد أن سألته «نوسة» قائلة: ماذا حدث يا «تختخ»؟ إنك لست في حالتك العاديَّة ... كنت أظن أنك ستكون سعيدًا لأننا عثرنا على الفتاة، وعلى وشك أن ينتهيَ كلُّ شيء.

قال «عاطف» ضاحكًا: لعله لا يريد أن ينتهيَ كلُّ شيء.

لم يردَّ «تختخ» ولم يبتسم ... وبدا واضحًا أنَّ من الصعب إخراجه من الحالة التي هو فيها ... فغيَّر المغامرون الحديث عن حالته ... وخرجوا من الموضوع إلى سؤال سأله «عاطف»: ماذا سنفعل؟ ... هل سنذهب جميعًا للزيارة ... أم نتصرف كما حدث في الصباح ... يذهب «تختخ» و«محب» ... وننتظر نحن الثلاثة هنا؟

كان لا بُدَّ من مناقشة هذا الموضوع معًا ... ولا بُدَّ من اشتراك «تختخ»، ولكن «تختخ» ألقى بمفاجأة: سأبقى هنا.

محب: وحدك؟

تختخ: بل مع «نوسة» و«لوزة» ... اذهب أنت و«عاطف».

محب: ولكن يا «تختخ» ... من المهم أن تأتيَ ... إنك بذلت جهدًا كبيرًا، ومن حقك أن تشهد الخاتمة.

تختخ: لا أظن أن الخاتمة اقتربت ... ما زال أمامنا الكثير.

محب: وماذا تريدني أن أعرف من الفتاة؟

تختخ: أُرجح أنك لن ترى الفتاة ... إنك ستعرف فقط إذا كانت حالتها قد سمحت باستجوابها أم لا ... ستعرف إنْ كانت استعادت ذاكرتها أم لا ... إنهم سيقولون لك تلك المعلومات.

محب: هل هذا كل شيء؟

تختخ: أظن هذا كل شيء، وعليك أن تعودَ فورًا بالمعلومات التي ستسمعها، فقد نحتاج إلى عمل شيء ما هذه الليلة.

محب: وهل ستبقى هنا حتى نعود؟

تختخ: طبعًا ... لا بُدَّ أن أَطْمَئِنَّ أنَّ كل شيء على ما يُرام.

وأسرع «محب» و«عاطف» إلى منزل الدكتور ... كانا مُتلهِّفَيْنِ على سماع الأنباء، وبقيَ «تختخ» جالسًا في الحديقة، وقد مدَّ ساقيه أمامه، وأحنى رأسه للخلف وسنده بيديه، وأغمض عينيه ... كان يبدو نائمًا تمامًا، ولكن الحقيقة أنه كان يفكِّر في كل ما حدث ... كان يفكِّر بعمق، حتى إنه لم يسمع «نوسة» و«لوزة» وهما تتحدثان عن غرابة سلوكه. واستمر «تختخ» على حاله ... في حين وصل «محب» و«عاطف» إلى المنزل، واستقبلهما «مراد» بترحيب شديد وهو يسأل: أين الأستاذ «توفيق»؟

محب: إنه مُتعَب قليلًا ولم يستطع الحضور.

مراد: إن الأخبار عظيمة جدًّا ... لقد استردت الفتاة ذاكرتها، وقد كتبت وصفًا تفصيليًّا لمكان المستندات.

قفز قلب «محب» في صدره عندما سمع هذه الأنباء، وقال: وهل أحضرتم المستندات؟

مراد: لا ... يجب أن تقوموا أنتم بذلك.

محب: نحن على استعداد.

مراد: إنني لا أثق بأحد في هذه الدنيا إلا المغامرين الخمسة؛ لذا لم أُطْلِع أحدًا على سر الوثائق والمستندات الهامة إلَّا أنتم.

محب: إننا فخورون حقًّا بهذه الثقة.

دخل الصديقان إلى الصالة، وأسرع «مراد» بإحضار ورقة بيضاء مرسوم عليها خريطة بالقلم الرَّصاص ... وأخذ يشرح لهما المطلوب: إن المكان الذي أخفت فيه «راوية» الوثائق ليس بعيدًا ... ولكنه يحتاج إلى شخص يعرف المعادي جيدًا، والمغامرون خير من يعرف المعادي، وشوارعها.

عاطف: طبعًا.

مراد: إنني أقترح أن تذهبوا في وقت متأخر نسبيًّا حتى لا تلفتوا إليكم الأنظار ... وعليكم العودة بعد الحصول على الوثائق والمستندات، وسوف يقابلكم الدكتور ويعطيكم مكافأة.

محب: إننا لا نعمل من أجل المكافأة ... بل من أجل العدالة، وحماية الوطن.

مراد: طبعًا ... طبعًا ... على كل حال، سوف نتكلم عن كل ذلك فيما بعد.

وأخذ «مراد» يشرح لهما الخريطة كما رسمها بناءً على أقوال الفتاة ...

ويحدد المكان الذي أخفت في الوثائق ... وكان مكانًا مهجورًا يقع على حافة الصحراء، قرب المكان الذي كانت الفتاة مسجونة فيه.

قال «محب»: إنني أعرف هذا المكان جيدًا ... إنه من أشد الأماكن وحشة.

ضحك «مراد» وهو يقول: وهل يخاف المغامرون شيئًا؟

محب: لا أدري لماذا لا نُبلغ الشرطة الآن.

مراد: لقد اتصلنا بالشرطة فعلًا ... ولكنكم سوف تسبقونهم إلى العثور على المستندات كما سبقتموهم في العثور على الفتاة.

محب: عظيم.

مراد: وطبعًا أنتم عند وعدكم بعدم إبلاغ أي شخص عن الموضوع حتى نضع كل المعلومات أمام رجال الشرطة.

محب: طبعًا.

مراد: إذن خذوا حذركم، إننا لا نريد أن نعرضكم لأية مخاطر.

ودَّعهما «مراد» حتى الباب، وأسرع الصديقان بالعودة إلى بقية المغامرين ... كان الموقف كما هو، «تختخ» يجلس كالنائم، و«لوزة» و«نوسة» تتحدثان ... وفتح «تختخ» عينيه عندما ظهر «محب» و«عاطف»، وقال على الفور: إنكما لم تريا الفتاة!

محب: لا.

تختخ: هذا ما قلته لكما، وهي لم تستردَّ ذاكرتها بعد.

محب: هذا ما أخطأتَ فيه ... لقد استردت الفتاة ذاكرتها.

انتبه «تختخ» وأنزل ساقيه، وبرقت عينا «لوزة»، وفتحت «نوسة» فمها دهشةً، وقال «تختخ»: بهذه السرعة؟

محب: هذا ما قاله الأستاذ «مراد»، وقد اعترفت بالمكان الذي أخفت فيه الوثائق.

تختخ: اعترفت ... وهل أحضروا الوثائق؟

محب: لا ... لقد أبقَوْا هذه المهمة لنا.

وأخذ «محب» يشرح ما حدث ... ثم أخرج الخريطة التي رسمها «مراد» بناءً على حديث الفتاة «راوية»، وأخذ «تختخ» يتأملها طويلًا.

قالت «لوزة» باندفاعها المعتاد: لقد جاءت النهاية بأسرع مما توقعنا ... لقد عثرنا على الفتاة، وسنعثر الليلةَ على الوثائق والمستندات ... إنه انتصار كامل.

تختخ: ومتى يجب أن نذهب؟

محب: قرب منتصف الليل ... حتى لا يرانا أحد.

تختخ: لا بأس ... إن كل شيء يبدو واضحًا الآن ... وسوف نقسم العمل بيننا.

نوسة: ألن نذهب معًا لإحضار الوثائق؟

تختخ: لا ... هناك ثلاث مهمات ... أنتِ و«لوزة» ستقومان بمهمة ... و«محب» و«عاطف» بأخرى ... وأنا بالثالثة.

عاطف: وما هي هذه المهام؟

تختخ: ستذهب أنت و«محب» لإحضار الوثائق في الموعد المحدد ... وعليكما بالحذر الشديد ... إنها مهمة محفوفة بالمخاطر.

عاطف: أية مخاطر؟

تختخ: إن المكان بعيد وموحش، ونحن لا نعرف ماذا سيحدث ... كُونا في منتهى الحذر ... وقد ألحق بكما هناك.

ثم التفت إلى «نوسة» و«لوزة» قائلًا: أما أنتما فستذهبان لمراقبة المنزل.

نوسة: أي منزل؟

تختخ: منزل الدكتور ... عليكما باختيار مكان مناسب وقريب، وراقبا جيدًا المنزل ... إنني أتوقع أن تقع هناك أحداث، ويجب أن أعرف ما سيحدث.

بدت «لوزة» في غاية السعادة، فهي تحس أنها لم تشترك في هذا اللغز بما يكفي، ولكن الآن بدا دورها عظيمًا، فهي ستراقب المنزل، وستعرف المعلومات وقد تقع أحداث تشارك فيها.

فكر «تختخ» لحظات، ثم قال: سآخذ معي «زنجر».

محب: ولكن متى نلتقي؟

تختخ: سنلتقي هنا ... كل من تنتهي مهمته يعود فورًا إلى الكشك الصيفي وينتظر، لن ننام الليلة حتى ننتهيَ من هذه المغامرة ... وحتى نطمئن على أنفسنا! وخرج «تختخ» مسرعًا ... وأسرعت الفتاتان إلى دراجتيهما، وانطلقتا لمراقبة منزل الدكتور ... أما «محب» ... و«عاطف» فنظر كلٌّ منهما في ساعته.

قال محب: إن الساعة ما زالت الثامنة والنصف وأمامنا ثلاث ساعاتٍ تقريبًا قبل أن نبدأ رحلتنا.

عاطف: تعالَ نتناول بعض الساندوتشات على الكورنيش ... ثم نشرب كوبين من الشاي للمساعدة على السهر، ثم نبدأ مهمَّتنا.

واتجه الصديقان إلى كورنيش النيل، أما «تختخ» فقد عاد إلى منزله، وجلس بجوار التليفون وأجرى بعض الاتصالات التليفونية، وأحسَّ كعادته أن الجوع يقرصه فأسرع يطلب العشاء، وأخذ يتناوله وهو صامت غارق في التفكير ... ثم دخل إلى غرفته فغيَّر ثيابه، ثم خرج وقفز على دراجته بعد أن وضع «زنجر» خلفه، وانطلق إلى منزل الشاويش.

عندما وصل إلى المنزل، شاهد الضوء في نافذة غرفة الشاويش، فتقدَّم منها ودقَّ عليها، وسمع صوت الشاويش من الداخل يسأل عن الطارق.

رد «تختخ» بصوت مرتفع: أنا «توفيق».

زمجر الشاويش وهو يقول: ماذا تريد في هذه الساعة؟

تختخ: أريدك أن تلبس ثيابك وتخرج فورًا.

زاد غضب الشاويش وزمجر قائلًا: ماذا تقول؟

تختخ: أقول البس ثيابك واخرج فورًا ... إن الأمن الذي أنت مشغول عنه مهدَّد تهديدًا خطيرًا.

الذاكرة المفقودة

خرج الشاويش مسرعًا، وهو ما زال يرتدي ملابسه ... واستمع إلى «تختخ» لحظات، ثم قال: هل أنت متأكد؟

تختخ: إنني متأكد جدًّا ... عليك أن تأخذ قوة من رجالك وتسرع إلى هناك. سوف يقعون جميعًا في قبضتك.

الشاويش: والموعد بالضبط؟

تختخ: اذهب في الحادية عشرة والنصف.

الشاويش: وأنت؟

تختخ: إنَّ عندي موعدًا آخر ... وسنلتقي عندك في القسم بعد منتصف الليل.

قفز كل منهما على دراجته، واتجه «تختخ» إلى منزل الدكتور ... وعندما اقترب منه نزل من الدراجة وقال لـ «زنجر»: «نوسة» ... «لوزة».

هزَّ الكلبُ الذكيُّ ذيلَه، وتوقَّف مكانه لحظات، وكان «تختخ» مستعدًّا، فأخرج منديلًا من مناديل «لوزة» وأدناه من فم الكلب، ونبح «زنجر» نباحًا خافتًا، كأنما يعترض على هذا التصرف من المغامر السمين ... فهو قد فهم المطلوب منه من أول كلمة.

سار «تختخ» خلف «زنجر» الذي أخذ يمشي وأنفه يلامس الأرض لحظات، ثم أسرع قليلًا وخلفه «تختخ» حتى وصلا إلى حديقة كبيرة مهملة لإحدى الفيلَّات المهجورة. وكانت تواجه فيلَّا الدكتور ... وانطلق «زنجر» كالسهم إلى الحديقة الكبيرة، وتبعه «تختخ» ولم يكد يصل إلى طرف الحديقة حتى سمع نداءً خافتًا: «تختخ»، «تختخ».

وعرف «تختخ» على الفور أنه صوت «نوسة»، فاتجه إلى المكان، ووجد الفتاتين مختفيتين خلف شجرة ضخمة ... قال هامسًا: هل حدث شيء؟

نوسة: هناك سيارة كبيرة وصلت منذ قليل، ودخلت الحديقة ثم أغلقوا الأبواب.

أخذ «تختخ» يتأمل منزل الدكتور ... كان الظلام يُخيِّم عليه تمامًا، ولا يبدو فيه أي أثر للحياة.

قال «تختخ» هامسًا: ابقيا هنا ... سوف أذهب لأرى وأعود إليكما.

وانطلق «تختخ» في الظلام، وأشار لـ «زنجر» أن ينتظره ... اقترب من سور الحديقة، ونظر حوله ... لم يكن هناك أحد ... وبسرعة تَسَلَّقَه، وقفز إلى الحديقة، وتوقَّف ينصت لحظات ... لم يسمع شيئًا، فتقدم من إحدى النوافذ، وأخذ يحاول أن يشاهد ما بداخل الغرفة، ومن خلال «الشيش» أدرك أنها غرفة نوم ... ولكن لم يكن هناك أحد ... ثم انتقل إلى نافذة أخرى ... وكانت هناك مفاجأة ... كانت الفتاة «راوية» تجلس على سرير وحدها، وقد بدا عليها التعب والهُزال ... دقَّ قلب «تختخ» سريعًا، ولم يتردَّد ... كانت الفتاة وحدها ... فدقَّ على خشب النافذة ... والتفتت الفتاة إلى مصدر الدقِّ ... ودقَّ «تختخ» مرة أخرى، وقامت الفتاة، واتجهت إلى النافذة ووقفت متردِّدة، فدقَّ «تختخ» مرة أخرى ... لم يكن يرى منها إلَّا جزءًا من وجهها، ولكن نظرة الأمل والرجاء بدت واضحة ... ثم مدَّت يدها وفتحت زجاج النافذة، وألصق «تختخ» فمه بالخشب وقال: إنني صديق أعرفك ... افتحي النافذة الآن واخرجي.

تردَّدت الفتاة لحظات ... وكان «تختخ» يدرك أنه في موقف خطير ... ولكنه استمر يقول: افتحي بسرعة.

وفتحت الفتاة النافذة، وأصبحت أمامه، مدَّ يده لها فصعدت إلى أحد الكراسي، ثم اجتازت النافذة وقفزت إلى الحديقة، سندها «تختخ» وأسرع بها حتى وصل إلى سور الحديقة ... لم يكن في إمكانها أن تقفز ... ولم يتردَّد وحملها بين يديه، ووضعها على السور، ثم قفز إلى السور واجتازه، وتناولها من الناحية الأخرى، وبعد لحظات كانا معًا عند «نوسة» و«لوزة»، وقال «تختخ» مسرعًا: هيَّا بنا ... خذيها إلى منزلك يا «لوزة» ... وحافظي عليها.

لوزة: ماذا حدث؟

تختخ: ليس هذا وقت الشرح ... هيَّا بنا.

وانطلقوا جميعًا تحت جُنح الظلام، وعندما وصلوا إلى منزل «لوزة» قال «تختخ»: سأعود بعد منتصف الليل.

وانطلق وحده في الظلام ... وسرعان ما كان يشقُّ طريقه إلى قرب الصحراء ومعه «زنجر»، وكانت الساعة قد قاربت العاشرة والنصف.

اتجه «تختخ» و«زنجر» معًا إلى المكان الذي وصفه «مراد» عند حافة الصحراء، وسرعان ما كانا هناك، ولم يكن «محب» و«عاطف» قد وصلا بعد ... فاختار «تختخ» مكانًا قريبًا من المكان الذي حددته الخريطة، وجلس يفكِّر في كل ما حدث ... لقد كانت هناك عملية خداع وتمويه واسعة النطاق ... ولكنه اكتشف كلَّ شيء في الوقت المناسب ... ومضت نصف ساعة ... وظهر «محب» و«عاطف»، وأطلق «تختخ» صيحة البومة التي يعرفها المغامرون، فاتجه الصديقان إليه وهما في غاية الدهشة ... وعندما وصلا إليه قال لهما: الأمور تسير على ما يرام ... لقد قمت بتهريب الفتاة الصغيرة.

ولم يكد ينتهي من جملته حتى ظهر الشاويش «علي» ... مع مجموعة من رجال الشرطة ... وأسرع «تختخ» إليه، وشرح له كلَّ شيء بسرعة وهدوء.

اختبأ الجميع في أماكنهم ... وفي منتصف الليل تمامًا ظهر ثلاثة رجال، واتجهوا إلى المكان الذي حددته «الخريطة»، وقال «تختخ» هامسًا: إنها عملية مثيرة.

ولم يكد الرجال الثلاثة يختفون في مدخل الكهف الذي من المفروض أن تكون الفتاة قد أخفت فيه الوثائق حتى قال «تختخ»: هيَّا بنا.

ثم التفت إلى الشاويش قائلًا: لا تتأخر.

واتجه الأولاد الثلاثة إلى حيث كان الرجال الثلاثة ... ولم يكادوا يقتربون من الكهف حتى ظهر أحد الرجال وقال: من هناك؟

ردَّ «تختخ» قائلًا: إننا المغامرون، جئنا حسب تعليمات الأستاذ «مراد».

الرجل: تعالوا هنا.

واتجه الأولاد الثلاثة، ولم يدهش «تختخ» الذي كان قد توصَّل إلى استنتاج كل شيء، لم يدهش عندما مدَّ الرجل يده بمسدس ضخم وقال: لقد وقعتم.

تختخ: إننا لم نفعل شيئًا ضارًّا لكم حتى تفعل هذا.

الرجل: إنكم مجموعة من الأغبياء ... هل صدَّقتم كلَّ ما قيل لكم؟! ... سوف تُسجنون في هذا الكهف حتى نغادر البلاد كلها ... ولا يعرف أحد عنَّا شيئًا.

ولم يكد الرجل ينتهي من جملته حتى ظهر الشاويش ومعه رجاله يحملون البنادق، وصاح الشاويش: لا يتحرَّكْ أحد.

كانت مفاجأة كاملة للرجال الثلاثة، حتى إنهم ألقَوْا بأسلحتهم دون أي مقاومة.

وقال: «تختخ»: هل تظن حضرتك أننا أغبياء إلى هذا الحد؟! ... لقد فهمت كل شيء بعد يوم واحد ... إن الدكتور الذي تتحدثون عنه شخص وهمي وغير موجود على الإطلاق

... والفتاة مظلومة ... فهي لم تسرق شيئًا ... ولكنها ذكيَّة، فقد خدعتكم وتظاهرت بأنها فقدت الذاكرة ... إنها لم تفقدها.

ذُهل الرجال الثلاثة ... وساقهم رجال الشاويش إلى القسم في حين اتجه الشاويش و«محب» و«عاطف» إلى منزل «لوزة».

كانت الفتاة الصغيرة «راوية» تجلس مع «نوسة» و«لوزة» في الكشك الخشبي وقد استردت بعض قوتها ... وقال لها «تختخ»: إنك فتاة شجاعة ... قولي لنا ما هي الحكاية؟

قالت الفتاة: لقد كنت أقوم ببيع الفجل والجرجير في سلة صغيرة، وعرض عليَّ رجل يُدعى «مراد» أن أحمل بعض أشياء إلى بعض أصدقائه في أماكن مختلفة من المعادي ... وظلِلْتُ فترة أتسلَّم منهم لفائف لا أعرف ما بها ... ثم أقوم بتوصيلها إلى الأشخاص الذين يحددونهم ... وكانوا يعطونني جنيهًا عن كل مشوار أقوم به.

وسكتت الفتاة لحظات ثم عادت تقول: وذات يوم دخلت المنزل دون أن يحس بي أحد ... وسمعتهم يتحدثون عن المخدِّرات ... وعرفت أنني كنت أقوم بتوزيع المخدِّرات دون أن أدري ... ولم أدرِ ماذا أفعل ... ولاحظ الرجال أنني عندما أخذت اللفة المعتادة كنت مذهولة ... ولم أكد أغادر المنزل حتى أسرعوا خلفي وقد قرَّروا قَتْلي حتى لا أُبَلِغ عنهم ... وظللت أجري حتى وصلت إلى الصحراء ... وقابلني بعض الناس ... وللأسف وجدت أنهم أشرار مثل هؤلاء، فأسرعت أجري مرة أخرى حيث أخفيت اللفافة ... ولكنهم استطاعوا الإمساك بي ... ولم يكن أمامي حل سوى التظاهر بأنني فقدت الذاكرة حتى لا يقتلوني.

وأكمل «تختخ» الحديث قائلًا: كان «مراد» يسمع عن المغامرين الخمسة وصلتهم بالمفتش «سامي» فاخترع قصة وهمية عن وثائق ومستندات سرقتها «راوية» وقد صدَّقناه في البداية، وبدأنا نتعاون معه ... ولكني لاحظت أن الدكتور الذي يتحدثون عنه لا يظهر مطلقًا ... وكلما ذهبنا لمقابلته قالوا لنا إنه غير موجود ... أو نائم أو مشغول ... ولو كان شخصية حقيقيَّة وكانت هناك وثائق لما تردَّد مرة واحدة في إبلاغ الشرطة، سواء أكان المفتش «سامي» موجودًا أم غير موجود ...

وسكت «تختخ» لحظات ثم مضَى يقول: وانتهز «مراد» فرصة سفر المفتش «سامي» وقد نُشر الخبر في الجرائد، وزعم أنه صديق المفتش وطلب مساعدتنا، ولم نتردَّد، ولكني بمرور الوقت، وبعد حادث المصور، وحديث «مراد» المتكرر عن الدكتور المزعوم ... عرفت كل شيء ...

برم الشاويش شاربه، وقال: يا لكَ من ولدٍ داهية!

تختخ: وهكذا يا حضرة الشاويش وقعتْ في يدك عصابةٌ من أعتى عصابات المخدِّرات، وسوف تأخذ مكافأة ضخمة من عملك.

الشاويش: ولكن «راوية» ستكون لها مكافأة أضخم.

راوية: ولكن ما هو نصيب المغامرين؟ … أليست لهم مكافأة؟

تختخ: إنَّ مكافأتنا الوحيدة هي خدمة العدالة …

